مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٥

دور الخيانات في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين الدولة الفاطمية نموذجًا

(٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)

د/ إسلام أبو زيد(*)

الملخص:

تتمحور الدراسة حول قضية واحدة ومحورية وهي دور الخيانات في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين الدولة الفاطمية نموذجاً(٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م) حيث تظهر ماهية ودوافع الحروب الصليبية، ثم أحوال الدولة الفاطمية قبيل الحروب الصليبية، وهي القضية الأكثر غموض وجاذبية لتحول الفاطميين للخيانة التي ترتب عليها سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين.

ومهمة هذه الدارسة استقراء للمصادر التاريخية سواء العربية أو الأجنبية المعاصرة للوقوف علي حقيقة النجاحات التي حققها الصليبيون لم يكن مردها لقوتهم فقط ولكن نتيجة للخيانات داخل الدولة العربية الاسلامية وما أصاب العرب والمسلمين من معوقات وانتكاسات ,مما هيأ للصليبين الفرصة الكافية في احتلال العديد من البلاد بما يقارب قرنين من الزمان, فالدولة الفاطمية كانت على علمٍ بأهداف الصليبيين وخطّ سيرهم حتى قبل وصولهم إلى أراضي الدولة البيزنطية، فقد بلغ الصليبيون أهدافهم، وأمير جيوش الدولة الفاطمية خامل متردد حائر، لذلك قال عنه بعض المؤرخين بالخائن , لذلك وجب علينا الاستعانة بالمنهج التاريخي التحليلي لكشف الغموض حول تلك الخيانات المتكررة من الفاطميين .

الكلمات المفتاحية: الخيانات، بيت المقدس، الصلبيين، الدولة الفاطمية

Abstract

The study revolves around one central issue, which is the role of betrayals in the fall of Jerusalem into the hands of the Crusaders, with the Fatimid state as a model (567-297 AH / 909-1171 AD), where the nature and motives of the Crusades are shown, then the conditions of the Fatimid state before the Crusades, which is the most mysterious and attractive issue of the Fatimids' conversion to betrayal, which resulted in the fall of Jerusalem into the hands of the Crusaders.

The mission of this study is to extrapolate historical sources, both contemporary Arab and foreign, to determine the truth of the successes achieved by the Crusaders, which were not due to their strength alone, but rather as a result of the betrayals within the Arab Islamic state and the obstacles and setbacks that befell the Arabs and Muslims, which provided the Crusaders with sufficient opportunity to occupy many countries for nearly two centuries. The Fatimid state was aware of the goals of the Crusaders and their route even before they reached the lands of the Byzantine state. The Crusaders achieved their goals, and the commander of the armies of the Fatimid state was indolent, hesitant, and confused, so some historians called him a traitor. Therefore, we must resort to the historical analytical method to uncover the mystery surrounding those repeated betrayals by the Fatimids.

Keywords: betrayals, Jerusalem, Crusaders, Fatimid Empire

(*) معلم أول تاريخ بوزارة التربية والتعليم

مقدمة:

حكمت الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م) ما يزيد على قرنين ونصف من الزمان كثير من بلاد العالم الاسلامي وعلى الرغم من قوتها واتساع نفوذها وقدرة خلفائها على ادارة شئونها لكنها لم تسلم من توجية النقد من بعض المؤرخين فتارة يطعنون في نسب خلفاءها وتارة ينعتونهم بصفات التحقير والامتهان وتارة ثالثة يتهمونهم بالتقاعس عن نصرة الاسلام ابان الزحف الصليبي على بلاد الشام ,بالرغم أن بعض القوى الاسلامية تعاونت مع الصليبيين نظير أسباب شخصية فقدموا لهم ما يحتاجون إليه من مؤن وعتاد وادلاء يرشدونهم إلى الطرق التي أوصلتهم لبيت المقدس.

وهكذا جرت العادة عند بعض المؤرخين من اختزال بعض أسباب النكبات والأزمات في شخص، أو موقف، أو رسالة، أو زيارة سفارة، أو وفد فكما عالجوا الفتنة في نهاية العصر الراشدي (٤١-١١هـ/٦٣٢-٦٦١م)، واختزلوا أسبابها في شخصية عبد الله بن سبأ واختزلوا سقوط غرناطة في شخص أبو عبدالله الصغير[1]كما اختزلوا سقوط بغداد في شخص مؤيد الدين بن العلقمي[2]فاختزلوا سقوط الساحل الشامي والقدس في شخصية الدولة الفاطمية والتصدي لهم.

لا ننكر نظرة الفاطميين للصليبيين منذ بداية ظهورهم في بلاد الشام كانت نظرة ضيقة لاتختلف عن النظرة التي كانوا ينطلقون منها في صراعاتهم من أجل مناطق النفوذ فقد أيقن الفاطميون أن الصليبيين لم يقفوا عند حد الاستيلاء على انطاكيا وغيرها من المراكز في شمال الشام والتي كانت تابعة للأملاك البيزنطية واستحوذ عليها السلاجقة وانما اخذوا يتوغلون في جنوب الشام صوب بيت المقدس فبذلوا الجهود لمحاربة اولئك الغزاة وصد خطرهم على الرغم مما كانت تعانية الدولة الفاطمية من تدهور أوضاعها الداخلية نتيجة الأزمات الاقتصادية وتنازع فرق الجند الفاطمي وكثرت الثورات وتعدد الفتن الداخلية والخارجية التي ساهمت بنصيب كبير في توغل السلاجقة في الدولة الفاطمية.

---

[1] أبو عبد الله محمد الثاني عشر (١٤٦٠ – ١٥٢٧) هو محمد بن علي بن سعد بن علي بن يوسف المستغني بالله بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف. من بني نصر أو بني الأحمر المنحدرة من قبيلة الخزرج الأزدية.، حكم مملكة غرناطة في الأندلس فترتين بين عامي (١٤٨٢ – ١٤٨٣) وعامي (١٤٨٦ – ١٤٩٢). وهو آخر ملوك الأندلس المسلمين المعرُوف باسم الغالب بالله. استسلم لفرديناند وإيزابيلا يوم ٢ يناير ١٤٩٢. وسماه الإسبان el chico (أي الصغير) وBoabdil (أبو عبديل)، بينما سماه أهل غرناطة الزغابي (أي المشؤوم أو التعيس). وهو ابن أبي الحسن علي بن سعد، الذي خلعه من الحكم وطرده من البلاد عام ١٤٨٢، وذلك لرفض الوالد دفع الجزية لـــفرناندو الثاني ملك أراغون كما كان يفعل ملوك غرناطة السابقين. عابد براك محمود خلف (١ يناير ٢٠١٥). أهل بيعتي العقبة من الأنصار (سيرهم ومناقبهم). Dar Al Kotob Al Ilmiyah دار الكتب العلمية. -ISBN:978-2-7451-8323-1. مؤرشف من الأصل في ٢٠٢٠-٠٦-٠٤.

[2] ابن العلقمي وزير الخليفة العباسي المستعصم، رتبَ مع هولاكو قتل الخليفة واحتلال بغداد، على أمل أن يسلمه هولاكو إمارة المدينة، إلا أن هولاكو أَهانَهُ وقَتَلَهُ بعد تدمير بغداد. ويقول الزركلي عن مقتله: «وهناك روايات بأن مؤيد الدين –يعني ابن العلقمي– أهين على أيدي التتار، بعد دخولهم، ومات غما في قلة وذلة». وقد أودى سقوط بغداد كما نقل الذهبي: «وبقي السيف في بغداد بضعة وثلاثين يوما، فأقل ما قيل: قتل بها ثمان مائة ألف نفس، وأكثر ما قيل: بلغوا ألف ألف وثمان مائة ألف، وجرت السيول من الدماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون خير الدين الزركلي (٢٠٠٢م). الأعلام (PDF) (ط. ١٢). بيروت: دار العلم للملايين. ج. ٥. ص. ٣٢١. مؤرشف من الأصل (PDF) في ٢٠٢٤-٠٣-٢٩.

لمكانة صلاح الدين الأيوبي الكبيرة في نفوس المسلمين، لم يَمحها أو يقلل منها مرور السنوات، لارتباط اسمه ــ بشكل خاص ــ بتحرير القدس من براثن الصليبيين، وإعادة هذا المكان المقدس إلى المسلمين بعد أكثر من ٩٠ عاماً من احتلاله.

يكاد دور صلاح الدين في تحرير القدس، وبطولاته ضد الصليبيين، تكون معروفة لجميع المسلمين، لكن ما يغيب عن معظمهم هو أن سقوط القدس بيد الصليبيين كان بالأساس نتيجة تواطؤ الدولة العبيدية الفاطمية، صاحبة المذهب الشيعي الإسماعيلي، وقد حكمت هذه الدولة أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي، منها: مصر، والمغرب العربي، وبلاد الشام، والحجاز.

وكما تناولت المصادر في سنة ٤٩١هـ (١٠٩٨م) تمكن الصليبيون من تأسيس أول إمارة لهم في الشرق الأدنى الإسلامي، وهي إمارة الرها (بين الموصل والشام)، ثم استطاعوا في نفس العام، تأسيس إمارتهم الثانية، وهي إمارة أنطاكية (شمال غرب سورية)، رغم المقاومة التي أبداها السلاجقة، الذين كانوا يحكمون آنذاك شمال بلاد الشام.

كانت الدولة العبيدية الفاطمية، تراقب الوضع عن كثب، لا لنصرة المسلمين، أو تقديم العون للسلاجقة للتصدي للصليبيين، إنما كانت المراقبة لأمر آخر!! يقول د. محمد طقوش: "في الوقت الذي وصلت فيه طلائع الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام، كان الفاطميون منهمكين بسوء أوضاعهم الداخلية السياسية والاقتصادية، وتحكّمت فيهم روح العداء للسلاجقة في بلاد الشام، لذلك لم يتحمسوا آنذاك لفكرة الجهاد ضد الصليبيين، وربما رأى بعض أركان الدولة في هؤلاء درعاً يحميهم من خطر السلاجقة[١]".

كان على رأس الدولة الفاطمية آنذاك، المستعلي بالله[٢]، وكان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي[٣]، هو صاحب السلطة الفعلية في الدولة، إذ أن الدولة الفاطمية عاشت سنوات طويلة في ظل تسلط الوزراء وسيطرتهم على مقاليد الأمور.

---

[١] صالح الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة؛ مجلة المورد، العدد٤-مج ١٦، بغداد- ١٩٨٧م، ص٥

[٢] أبو القاسم المستعلي بالله أحمد بن معد بن الظاهر بن علي بن منصور (1101 - 1074) كان تاسع الخلفاء الفاطميين في مصر والمغرب والإمام التاسع عشر عند الإسماعيلية المستعلية.ولد في القاهرة في سبتمبر سنة1074 م وتولى بعد موت أبيه المستنصر بالله متخذا لقب المستعلي بالله، وبويع في يوم عيد الغدير، في 3 يناير 1095 م.رغم أنه لم يكن الأكبر (والأرجح أنه كان الأصغر) بين أبناء الخليفة المستنصر بالله، إلا أنه تولى الخلافة عبر تآمر صهره الوزير الأفضل شاهنشاه .دفع ذلك شقيقه الأكبر والأولى بالخلافة نزار ليثور في الإسكندرية، لكن الثورة أخمدت وأُعدم قائدها. أدّت تلك الأحداث إلى انقسام كبير في الحركة الإسماعيلية، فانفصلت العديد من الفئات، خاصة في بلاد فارس والعراق، عن التسلسل الإسماعيلي الذي ترعاه الدولة، وشكلت حركتها النزارية الخاصة، معتبرة نزار وذريته الأئمة الشرعيين. ابن ميسر، ابن ميسر (١٩٨١). المنتقى من أخبار مصر (PDF). المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية. ص. ٧٠.

[٣] وزير المستعلي العلوي بمصر المعروف بأمير الجيوش بن شاهين، بلغ في الوزارة مبلغا عظيما وجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد قبله وكانت داره دار الملك بمصر التي هي الآن عند رحبة الخرّوب، وقتل بين مصر والقاهر وثب عليه اثنان من الباطنية فقتلوه، ولما قتلوه وجد عنده أموال عظيمة وذلك في سنة خمس عشرة وخمسمائة، وقيل غير ذلك ترجمته في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣٢٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٠٧

أثار موقف "الأفضل" من حصار الصليبيين لأنطاكيا، وتخاذله عن نجدة المسلمين فيها استياء المسلمين، بمن فيهم المؤرخون الذين يميلون في العادة إلى تسجيل الوقائع والأحداث بشكل مجرد دون التعليق أو إبداء الرأي، لكن التقاعس والتخاذل بلغ حدّاً جعل المؤرخ المصري ابن تغري بردي يقول: "ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال.

ويؤكد لنا ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) بقوله: إن أصحاب مصر من العلويين (الفاطميين) لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام إلى غزّة، ولم يبقَ بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم، ودخول الأقسيس إلى مصر وحصرها، فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه.

وتناولت الدراسة التمهيد ماهية ودوافع الحروب الصليبية ثم المبحث الأول اوضاع الدولة الفاطمية قبيل الحروب الصليبية المبحث الثاني دور الدولة الفاطمية في سقوط بيت المقدس ثم الخاتمة والمصادر والمراجع.

أهمية ومبررات الدراسة:

١- ندرة الدراسات المتخصصة التي تناولت الحديث دور الخيانات في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين الدولة الفاطمية نموذجاّ(٥٦٧-٢٩٧هـ/٩٠٩-١١٧١م).

٢- اهتمام علماء المسلمين بإفراد مثل هذه العلاقات بالتأليف والدراسة لارتباطها بقيام وبمراحل الضعف والانهيار للمسلمين.

٣- الأثر الكبير الذي تركته العلاقات السرية على سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين.

مشكلة البحث:

يعالج البحث دور الخيانات في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين الدولة الفاطمية نموذجاّ(٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م).

أهداف البحث وأهميّته:

من خلال بحثي أريد أن أنتهي إلى عدة فوائد تاريخية؛ تكون مرجعاً في باب دور الخيانات في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين الدولة الفاطمية نموذجاّ(٥٦٧-٢٩٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)، وذلك من خلال ما يأتي:

- ❖ تناثر المعلومات في المصادر المختلفة حول موضـــوع دور الخيانات في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين الدولة الفاطمية نموذجاّ(٥٦٧-٢٩٧هـ/٩٠٩-١١٧١م) وضـــرورة جمعها وإخراجها في إطار دراسة علمية.
- ❖ محاولة المواءمة والاستفادة من مختلف المصادر فيما يتعلق دور الخيانات في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين الدولة الفاطمية نموذجاّ(٥٦٧-٢٩٧هـ/٩٠٩-١١٧١م).

- ❖ مساعدة المتخصصين في مجال التاريخ السياسي والعسكري للدول المختلفة في التاريخ الإسلامي علـــى معرفـــة بدايتها والوقوف على مدى تأثيرها على العالم الإسلامي ودورها في سقوط بيت المقدس.

- **منهج البحث:**

يقوم البحث على المنهج العلمي التاريخي القائم على التحليل والاستنباط والاستنتاج للتوصل الى حقائق جديدة تعتبر إضافة الى حقل الدراسات التاريخية بمصر في عصر الدولة الفاطمية.

حدود البحث:

حدود الموضوعية: دور الخيانات في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين الدولة الفاطمية.

الحدود الزمنية: تشمل (٤٣٠ هـ/ ١٠٣٧م – ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م)

الدراسات السابقة:

تركزت معظم الدراسات التاريخية السابقة على دراسة سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين، ولقد اجتهدت في جمع مصادر ومراجع عن دور خيانات الدولة الفاطمية في سقوط بيت المقدس –قدر استطاعتي– أن أصل إلى هذه الأبحاث لأستفيد منها في دراستي حيث لم تنفرد دراسة بهذا الموضوع بشكل منفصل عن دور خيانات الفاطميين في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين؛ منها ما يأتي:

١- قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت– ١٩٩٠م

٢- محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، دمشق، ٢٠٠٠م.

٣- جمال بدوي، الفاطمية دولة التفاريح والتباريح، دار الشوق، الطبعة الأولي, ٢٠٠٤م.

٤- يوسف الشيخ عيد، أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، دار المعالي , ٢٠١١م

٥- هيفاء عاصم الطيار، الفاطميين والغزو الصليبي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ١٤, ٢٠١٣م

التمهيد: ماهية ودوافع الحروب الصليبية

أ.الحروب الصليبية: هو الاسم الذي أطلق على سلسلة الحملات[١] التي شنها مسيحو غرب اوربا على الشرق المسلم بين عامي ٤٨٩-٦٩٠هـ/١٠٩٥-١٢٩١م للاستيلاء على الارض المقدسة وانتزاعها من ايدي العرب والمسلمين[٢].

وهنالك تعريفات متعددة للحروب الصليبية اوردها الباحثون في هذا المجال منها ما ذكره محمد عبدالله عنان قائلا:"....انها صراع ديني بين الاسلام والمسيحية منذ بداية تحرير الشام والمعارك التي دارت في بلاد الفرنجة بعد فتح الاندلس..."(٣).

وعرفها قاسم عبد قاسم قائلا:"انها حركة دينية بقدر ما كانت حركة سياسية كما كانت حركة اجتماعية اقتصادية مثلما كانت حركة فكرية عسكرية..."(٤).

اما محمد العروسي المطوي فقد قال عنها:"...لم تكن الحروب الصليبية في معناها الواسع الا فترة زمنية ولونا خاصا من ذلك الصراع الدائم ما بين الشرق والغرب ذلك الصراع الذي اختلفت تسميته باختلاف الازمنة والمقاصد..."(٥).

بناء ما تقدم فان الحروب الصليبية ماهي الا فترة زمنية بل وهي جزء من الصراع القائم بين الشرق والغرب اذ بدا منذ اقدم العصور التي نشات فيها المصالح بين الشرق والغرب وان النتائج التي يقرره هذا الصراع هي القوة ان هذا الصراع بدأ منذ عهد الاسكندر المقدوني الذي تمكن من غزو الشرق وتوسع حتى وصل الى بلاد الهند وجاء من بعده الرومان الذين اصطدموا مع الفرس وتواصلت الحروب بينهما حتى ظهور الاسلام اذ تمكن المسلمون من تحرير اراضهم في السيطرة البيزنطية واستمرت المناوشات بينهم حتى الحروب الصليبية(٦).

اتخذت الحروب الصليبية تسميتها من الصليب اذ كان المشاركون فيها يخيطون على البستهم عند الصدر علامة الصليب من قماش احمر دلالة على ان الدين احد اسبابها او رمزا لانتزاع الارض المقدسة من ايدي العرب(٧).

اذ ان مصطلح الحروب الصليبية لم يستخدم من قبل معاصري تلك الحروب ففي العصور الوسطى كان يشار الى تلك الحروب بتسميات عدة منها الطريق الى الارض المقدسة، السير على درب الرب، التجوال، الارتحال وقد ظهر مصطلح الحروب الصليبية لاول مرة عام ١٦٥٧م اذا استخدمه المؤرخ الفرنسي لويس ممبور في بحثه المسمى تاريخ الحروب الصليبية في المانيا(٨)

ب.دوافع الحروب الصليبية: اختلفت اراء المؤرخين حول اسباب ودوافع الحروب الصليبية ممن قائل ان الدافع الديني هو الدافع الرئيسي لهذه الحروب معللا ان الدين كان دافعا لهذه الحروب عندما استجابت شعوب اوربا لنداء البابا اوربان الثاني في دير كليرمونت في يوم السابع والعشرين من تشرين الثاني من عام ٤٨٩هـ/١٠٩٥م والذي قال فيه:"ان من يلق مصرعة في المعركة تحلل في ذنوبة وغفر الله اخطاءة..."(٩) وهنالك من علل ان ما اقترفة الصليبيين من جرائم بحق المسلمين(١٠).

حقيقة ان هذا الدافع لم يكن يخص المسلمين وحدهم بل شملت وحشية الصليبيين حتى السكان العرب المسيحيين مما جعل الدافع الديني ضعيفاً على الاكثر وبالتالي فقد تجمعت عوامل عدة كانت الدافع لتلك الحروب.

١.الدافع الديني: لقد حاول كثير من المؤرخين فهم الحملات والحروب الصليبية على انها ذات دوافع وطبيعة دينية فان مسألة الحج التي اتخذتها البابوية وسيلة مؤثرة في اثارت المشاعر الدينية للاوربيين من خلاله تصوير الكنيسة لسوء معاملة الحجاج المسيحيين في الاراضي المقدسة في فلسطين من قبل المسلمين حسب ادعائهم فهذا باركر أحد مؤرخين الحروب الصليبية يقول:"...ان الحملة الصليبية الاولى مجرد قافله حجيج شاكية السلاح تهدف تطهير طريق الحج وتثبيت مواطئ قدم للقادمين منهم...."(١١).

كما ان أحد المشاركين في هذه الحملة أطلق تسميه الحجاج على اولئك الصليبيين(١٢) ولا ننسى ما قام به قسم منهم في بث الدعوات حول اضطهاد المسلمين للمسيحيين في حياتهم في بيت المقدس(١٣) لذا لعب البابا اوربان الثاني[١] بدور مهم في تحريض شعوب اوربا على ضرور تخليص قبر السيد المسيح(عليه السلام) من ايدي المسلمون عندما القى خطابة في السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني من عام ٤٨٩هـ/١٠٩٥م في دير كليرمونت(١٤).

ان الديانات السماوية لا تؤمن بالاعتداء ولا تشرعه ولا تقره، بل إن هذه الديانات في حقيقتها ليست الا ردود فعل ضد الظلم والتعسف والاعتداء عبر التاريخ البشري والاسلام دين سماوي يدعو الى الحب والعطف والتسامح فكيف يعتدي على المسيحيين الذين يدينون بدين سماوي اخر يدعو الى نفس المبادئ.

ولو كان حقيقه ما ذكر البابا اوربا ان جموع الصليبيين جاءوا لتحرر قبر السيد المسيح (عليه السلام)من ايدي المسلمين لكانوا قد تركوا جميع ممتلكات الاماكن المقدسة في امان وعدم التعرض لها لكن على العكس قام اولئك القادمين من الغرب الاوربي بسرقة ما موجودة في تلك الاماكن المقدسة ومما يؤيد ذلك ما ذهب اليه اليافعي وابن تغري بردي بالقول:"انهم اخذوا من الصخرة من اواني الذهب والفضة ما لايضبطه الوصف.."(١٥).

---

[١] البابا أوربان الثاني (١٠٤٢م – ٢٩ يوليو ١٠٩٩م)، ولد باسم أوتو اللاجيري، وكان بابا الفاتيكان من عام ١٠٨٨م إلى ٢٩ يوليو ١٠٩٩م. أشعل شرارة الحملات الصليبية بإطلاقه الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥م–١٠٩٩م)، حيث التقى أقوى أمراء فرنسا وخطب فيهم محرضا على المسلمين بالشرق ومُعلنا إطلاق الحروب الصليبية «لتحرير الكنائس المسيحية في الشرق وفي الأرض المقدسة من الكفرة والوثنيين» دون أن يذكر اسم المسلمين، زاعما المساس بقبر يسوع المسيح.تُعتبر دعوة البابا أوربان الثاني للحروب الصليبية هي بداية انطلاق الدولة الدينية في أعتى صورها، كما أنها كانت البداية لظهور ما يسمى بصكوك الغفران.
Urban II: Speech at Council of Clermont, 1095, Five versions of the Speech(available as part of the Internet Medieval Sourcebook). نسخة محفوظة ١١ أكتوبر ٢٠٠٠ على موقع واي باك مشين.

ان كل هذا لايعني انه لم يأت للمشاركة في هذه الحملة قسم من المتدينين من الناس بل ان عدد كبير منهم شارك فيها بهذا الوازع خاصة في ابناء الطبقات الفلاحية الذي كان الجهل مستشريا بينهم فغلفت الحقائق عنهم بلبوس ديني احسن الباباوات والامراء والملوك حياكته(١٦).

صفوة القول ان القائل بان الدافع الديني كان هو الدافع المسؤول الوحيد عن اثارة هذه الحروب وانه القوة الوحيدة الموجهة له لتخليص المسيحيون الشرقيون الذين يسكنون الاراضي المقدسة والغربيون الذين يأتون لزيارة قبر السيد المسيح(عليه السلام) من اضطهاد المسلمين لهم هو ادعاء باطل لا يتفق وروح الدين الاسلامي وطبيعة الدعوة اليه فقد امر الله سبحانة وتعالى نبيه الكريم محمد(صلى الله عليه وآله)ان يدعو الى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى:" فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ"(١٧).

وقد اثبتت احداث التاريخ كيف ان الاسلام قد احاط اهل الكتاب برعاية وعناية وكيف ان المسيحيين قد عاشوا في كنف الدولة العربية الاسلامية عيشه هادئه هانئة فهذا بطريق بيت المقدس ثيودسيوس يبعث برسالة عام ٢٥٦هـ/٨٦٩م الى زميلة بطرق القسطنطينية اجناتيوس يثني فيه على المسلمين وكيف هم متسامحون وذا قلوب رحيمة وكيف انهم سمحوا للمسيحيين ببناء مزيدا من الكنائس وان المسيحيين يمارسون طقوسهم الكنسية بحرية فالمسلمون قوم عادلون ولم يلقى منهم المسيحيون أي اذى او تعنت(١٨).

٢.الدافع الاقتصادي: عد سعيد عبد الفتاح عاشور الحروب الصليبية اول تجربة من الاستعمار الغربي قامت به الامم الاوربية خارج حدود بلادها لتحقيق مكاسب اقتصادية واسعة النطاق(١٩).

ان الكثير من المشاركين في هذه الحروب قد شاركو بها لا من اجل خدمة الصليب وتخليص قبر السيد المسيح(عليه السلام) من ايدي المسلمين انما شاركوا بها جرياً وراء المال والثروات التي يتمتع بها الشرق الاسلامي فكانوا يعتقدون ان نهر الفرات كان يفيض بالجواهر والاحجار الكريمة ونهر دجلة في تدفقه كان يحمل معه التوابل التي تشكل عنصرا مهما في حياة المجتمع الاوربي انذاك لذا شارك بها كثير من الصليبيين من اجل استغلال موارد الشرق والمتاجرة بها والحصول على اكبر قدر ممكن من الثروات(٢٠).

ان الشعوب الاوربية كانت تعيش في نظم اقطاعية جائزة تركت الكثير من المساوى والاثار السلبية على الاوضاع المعاشية للفلاحين والعبيد في المجتمع الاوربي(٢١).

ان الغرب الاوربي قد اصيب عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م بكوارث طبيعية متمثلة بالفيضانات المدمرة والاوبئة دفعت الكثير من الناس للهجرة من اراضيها فضلا عن الحروب المحلية بين الامراء الاقطاعيين التي لم تنجح الكنيسة او الملوك في ايقافها مما ادى الى الاضرار بالتجارة

وطبيعتها والزراعة وحقولها لذا جاءت الحروب الصليبية لتفتح امام اولئك الجوعى من غرب اوربا بابا جديداً للهجرة وطريقاً للخلاص من الاوضاع الاقتصادية الصعبة التي عاشوا فيها داخل اوطانهم[٢٢] لذا نرى ان الحملة الصليبية الاولى قد ضمت جموعاً غفيرة من الفقراء المساكين وطريدي القانون جميعهم كانوا يفكرون في بطونهم قبل ان يفكروا في دينهم[٢٣].

ان الحروب الصليبية لم تكن فرصة للجوعى فقط انما كانت فرصة للتجار الاوربيين وخاصة تجار ايطاليا وجنوة وفنيسيا التي كسدت تجارتهم بسبب الاضطرابات والمشاكل الاقتصادية فدفعهم الى البحث عن اسواق ومصادر خارجية وخاصة على سواحل البحر الابيض المتوسط[٢٤] لذا فقد جرى تنسيق بين البابوية وبين الدويلات التجارية كايطاليا وجنوة وفنيسيا وكذلك الامراء الفرنج والامبراطور البيزنطي لوضع اساطيلهم في خدمة الحملات الصليبية اذن ان هذه الدول لم تكن مدفوعة الى تقديم مساعداتهم للصليبيين بوازع ديني انما جرت وراء مصالحها الاقتصادية ورآت في الحروب الصليبية فرصة طيبة يجب اقتناصها لتحقيق اكبر قسط من المكاسب الذاتية على حساب البابوية والكنيسة والصليبيين جميعا[٢٥].

لذا نرى انتوني ويست يقول:"...فكثير من الاشراف والعظماء صاروا يعتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعية لاحتشاد وجمع الاموال الكثيرة بل ان التعطش نحو اخذ وجمع الغنائم وحده كان يجذب الجيش الى المحاربة..."(٢٦).

٣.الدافع السياسي: يعد الدافع السياسي من الدوافع المهمة في قيام الحروب الصليبية وان غالبية ملوك وامراء الغرب الاوربي شاركوا في الحملات الصليبية يدفعهم حب الظهور وخدمة لمصالحهم السياسية فمن المعروف ان النظام الاقطاعي في اوربا ارتبط ارتباطا وثيقا بالفروسية والحرب واظهار الشجاعة وان حياة السلم كانت تعني البطالة بالنسبة لمحاربين محترفين لا عمل لهم الا القتال تدخلت البابوية ونادت بما يعرف((هدنة الله)) وهي خطر القتال في الايام الاخيرة من الاسبوع والاعياد الرسمية لذا نجد ان الفرسان والمحاربين الذين لم يروا الا خيراً من تلبية نداء البابا اوربان الثاني للحروب الصليبية فوجدوا في هذه الحروب مجالا واسعا لاظهار شجاعتهم والتعبير عن قدراتهم الحربية بعض النظر عما في المشاركة في تلك الحروب الجديدة من سعي مشكور وذنب مغفور[٢٧].فضلا عن ذلك ان النظام الاجتماعي السائد في اوربا ارتبط ارتباطا وثيقا بالارض وانتقال الميراث الى الابن الاكبر ان هذا النظام قد اوجد العديد من الامراء المحرومين من السلطان فضلا عن عدم وجود اقطاعات لهم هذا مما جعل كثير من الامراء ينخرطون في الحروب الصليبية لعل موافقتهم لكل ما تطلبه الكنيسة منهم بالاشتراك في هذه الحروب وتلبية نداء البابوية تجعلهم ينجحون في تاسيس امارات لانفسهم في الشرق تعويضا عما فاتهم في الغرب

وهكذا اتفقت الاهواء والرغبات والمصالح الشخصية مع مصالح الكنيسة التي هددت اولئك القادة بان من يعصي اوامرها ورغباتها ستقوم باصدار قرارات الحرمان من النعيم في الاخرة ونيل طاعته في الدنيا(٢٨).

٤.الدافع الاجتماعي: تالف المجتمع الاوربي في العصور الوسطى من ثلاث طبقات هي طبقة رجال الدين من الكنسيين والديريين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان وطبقة الفلاحين الاقنان ورقيق الارض اذا كان التفاوت واضحا بين هذه الطبقات من حيث الامتيازات والمكانة الاجتماعية والمصالح(٢٩).

ان الفلاحين عاشوا في غرب اوربا عيشة منحطة اذ استخدم الفلاح في اعمال زراعية واعمال غير زراعية فقد استخدم في اعمال بناء الحصون والقلاع واصلاح الجسور وغير ذلك(٣٠) امضى الفلاح حياته محروما من ابسط مبادئ الحرية الشخصية فبالاضافة الى الواجبات الضخمة الملقاة على عاتقه عليه ان يدفع ايضا ضريبة الراس التي يتعين على كل قن دفعها سنويا رمزا لعبوديته هذا فضلا عن الضرائب المفروضة على ماشيته وما تنتجه ارضه من مزروعات وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب اوربا تحيى حياة من الفاقة مليئة بالذل والهون لذا انحرط كثير منهم في الحروب الصليبية تخلصا من الفاقة والهون والذل فان ماتوا في الحرب كان الموت احب اليهم من حياة الجوع والذل والعبودية وقد غفر لهم الرب ذنوبهم وان وصلوا الى الارض المقدسة سالمين فان حياتهم الجديدة ستكون باي حال من الاحوال احسن من حياتهم التي عاشوها في بلادهم الاصلية وهكذا لعبت الكنيسة دورها في حث هؤلاء على المشاركة في الحروب فان ماتوا سوف يتمتعون بالسعادة الابدية في العالم الاخر وانها وسيلة لتطهير النفس من الذنوب التي علقت بهم(٣١).

بناءا على ما تقدم تسنتج ان للحروب الصليبية دوافع عدة وفي ضوء تلك الدوافع تعد الحروب الصليبية ماهي الا حركة كبرى انبثقت من الغرب الاوربي في العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على الدولة العربية الاسلامية بقصد امتلاكها وقد انبثعت هذه الحركة عن سوء الاوضاع الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي سادت اوربا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي واتخذت من الدين ستاراً للتعبير عن نفسها تعبيرا عمليا واسع النطاق فقد كان الشعور الديني والروحي هو الباعث الرئيسي الذي دفع باكثر طبقات المجتمع الغربي الاوربي الى الاشتراك في هذه الحروب ولكن الى جانب ذلك كله كانت كل طبقة تتبع مبدا ماديا مختلفا عن الاخرى فالامراء والفرسان وجدوا في حب القتال والمغامرة فرصة لهم بالاشتراك في تلك الحروب فضلا عن ان الفرسان الذين لا اراضي لهم والابناء الصغار من الاسر الاقطاعية

ممن لاحق لهم في وراثة الاقطاعات قد شاركوا في هذه الحروب يحدوهم الامل في ان يحققوا لانفسهم المكانة والارض لتي لم يتمكنوا من تحقيقها في اوطانهم اما طبقة العامة فقد شاركت في الحروب الصليبية لتحقق لها وضعا افضل من وضعها الذي تعيشه في اوطانها كما ان قسما قد وجدوا في الاشتراك بهذه الحروب فرصة للهروب من العدالة لانهم قد ارتكبوا جرائم وبالتالي فان الاشتراك في الحملات الصليبية سوف يعفيهم من جرائمهم اما المدن الايطالية فقد وجدت فرصتها في الاشتراك في الحروب الصليبية لحصولها على الاموال نتيجة توسع تجارتهم بين الشرق والغرب.

المبحث الأول : اوضاع الدولة الفاطمية قبيل الحروب الصليبية:

كان الشرق الادنى الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي مقسم بين ثلاث قوى رئيسية هي الدولة العباسية في بغداد والدولة الفاطمية في مصر اما القوة الثالثة هي قوة الدولة البيزنطية.

فمن المعروف ان الدولة العباسية قد اصابها الضعف والانحلال وتمزقت اوصالها اذ لم يعد لها أي نفوذ على الولايات التابعة لها الا النفوذ الروحي لكن حالها قد تغير نوعاً ما بسبب قدوم السلاجقة فقد استطاعوا التخلص من البويهيين ثم غدا السلاجقة جند الخلافة العباسية وحماتها واداتها الحربية في التصدي لاعدائها من البيزنطنيين والفاطميين[٣٢].

فقد استطاع السلاجقة التوغل في اسيا الصغرى وتمكن سليمان بن قتلمن(٤٧٤-٤٧٩هـ/ ١٠٨١-١٠٨٦م)[٣٣] من اقامة مملكة شملت اجزاء من اراضي اسيا الصغرى على حساب الامبراطورية البيزنطية وبالتالي غدا ملك السلطان السجلوقي ملكشاه(٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م)[٣٤] ممتدا من اقليم ما وراء النهر الى الاناضول والشام متضمن دمشق وحلب وانطاكيا[٣٥].

لكن ملك السلاجقة لم يدوم فبعد موت ملشكاه عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ومقتل وزيرة نظام الملك عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م تفككت عرى دولة السلاجقة ودب الصراع فيما بين ابناء البيت السلجوقي وقد نشب الصراع بين ابناء السلطان ملكشاه الاربعة وهم بركياروق[٣٦] ومحمد وسنجر ومحمود[٣٧] كما اشتد الصراع بين بركياروق الابن الاكبر لملكشاه وعمه تتش [٣٨] الذي ادى في النهاية الى مقتل تتش عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م والذي كان يرى بأحقيته بالسلطنة من ابن اخيه بركياروق[٣٩].

عندها انقسمت دولة السلاجقة الى خمسة اجزاء متنازعة هي سلطنة سلاجقة فارس وعلى راسها بركياروق الذي كان له السيطرة على بغداد وحلب وعلى راسها رضوان ابن تتش[٤٠] ودمشق وعلى راسها دقاق بن تتش[٤١] وسلطنة سلاجقة الروم والتي كانت عاصمتهم قونيه[٤٢]

وعلى راسها قلج ارسلان بن سليمان قتلمش[٤٣] اما سنجر[٤٤] فقد تولى سلطنة خراسان وما وراء النهر[٤٥].

ان صاحبا دمشق وحلب رضوان ودقاق ابنا تتش لم يكونا على وفاق وحاول كل واحد منهما التخلص من الاخر ودخلت في خضم هذا الصراع اطراف عديدة محاولة تأييد ونصر طرف على الاخر كصاحب انطاكيا ياغي سيان وسكمان بن ارتق[٤٦] صاحب النفود في الجزيرة والقدس وفلسطين وصاحب حمص حسين بن ملاعب [٤٧] الملقب جناح الدولة[٤٨] ويفهم من كلام ابن القلانسي كان لهذا الصراع بين الاخوين نتائج سيئة على الجبهة الاسلامية فلو كان الاخوين رضوان ودقاق قد اتفقنا لكانا قد لحقا بالعدو الدخيل شر هزيمة وكابنيه وبين االتوغل في آسيا وسورية الشمالية وبالتالي بدل من الاتحاد لمواجهة العدو المشترك (الصليبيين) قد حاول كل واحد الفتك بالاخر[٤٩].

اما القوة الاسلامية الاخرى فهي الخلافة الفاطمية في مصر فقد نجح الفاطميون بعد جهود جبارة في الاستيلاء على بلاد الشام فلم يمضي عام واحد على دخول الفاطميين الى مصر عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م حتى ارسل قائد الفاطميين جوهر الصقلي[٥٠] حملة الى بلاد الشام عام ٣٥٩هـ/٩٧٠م بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي بغية انتزاعها من سلطان الخلافة العباسية ولتامين حدود مصر من ناحية الشام وفعلا استطاع جعفر الاستيلاء على دمشق ودخولها عام ٣٦٠هـ/٩٧١م بعد موقعتين حاسمتين الاولى في الرملة والثانية في طبرية وقد تم تنصيب الامير سيف الدولة المنذر بن امير الدولة النعمان عامر التنوحي على اقليم العرب بما فيه طرابلس، بيروت، صيدا وهكذا بسط الفاطميين نفوذهم على بلاد الشام عدا انطاكيا التي كانت لاتزال تحت سيطرة الامبراطورية البيزنطية[٥١].

لكن نفوذ الدولة الفاطمية في بلاد الشام اخذ بالانكماش بعد عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م وذلك بسبب ما كانت تعانية الدولة من ازمات اقتصادية وحربية وسياسية وقد حاول الفاطميون استعادة نفوذهم في الشام مرة اخرى بواسطة الحملات العسكرية فنجحوا في استعادة بعض المدن الساحلية حتى مدينة جبيل وهي المناطق التي ظلت بايدهم حتى وصول طلاع الحملة الصليبية الاولى[٥٢].

كانت الخلافة الفاطمية قبيل قدوم الحملة الصليبية الاولى تعاني من اضطرابات شديدة كادت تقضي عليها خاصة بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[٥٣] وتولي ابنة الاصغر المستعلي بالله[٥٤] الخلافة بفضل ما قام به الوزير الافضل بن بدر الجمالي[٥٥] من اقصاء الابن الاكبر للخليفة المستنصر بالله المسمى نزار عن الخلافة رغم احقيته وتولية اخية الاصغر المستعلي بالله فهرب نزار الى الاسكندرية فتابعه اهل الاسكندرية وتلقب بالمصطفى لدين الله ووز له افتكين

التركي لكن الافضل استطاع عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ان يهزم نزار وافتكين ثم اخذهما اسرى وبعدها تخلص منهما وبقتل نزار انقسمت الدعوة الاسماعيلية الى نزارية تطعن بخلافة المستعلي والاخرى مستعليه ترى صحة خلافته وفي ذات الوقت لم يكن للمستعلى الذي تولى الخلافة وهو صغير السن أي امر او نهى مع الافضل اذ كان الاخير هو صاحب السلطة الفعلية في مصر(٥٦). اما عن علاقة الفاطميين بالعباسيين فكان الصراع هو السمة الغالبة على تلك العلاقة فتارة تثير الدولة العباسية الخانقين على الدولة الفاطمية وتارة تخرج بمحاضر انكار نسب الفاطميين والقدح فيهم كما حدث في محضرا الطعن التي حررتها الدولة العباسية عامي ٤٠٢هـ/١٠٠٥م و٤٤٤هـ/١٠٥٢م(٥٧).

وبالمقابل فان الدولة الفاطمية قامت بدعم كثير من الحركات ضد الدولة العباسية ومثال على ذلك دعمها لحركة البساسيري(٥٨) الذي تمكن من دخول بغداد عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م واقامة الخطبة للفاطميين ولم ينقذ الخلافة العباسية انذاك الا تدخل طغرلبك السلجوقي(٥٩).

ان هذه الخلافات والانقسامات جاءت على حساب وحدة الجبهة الاسلامية سيما على حساب تماسك المسلمين في الشرق الادنى الامر الذي جعل الاجواء ممهدة للصليبيين لغزو الشام في سهولة والاستقرار فيه ردحاً من الزمن فقد وصف ابن القلانسي الوضع قائلا:"...وفي هذه السنة [عام ٤٩٥هـ] وردت الاخبار بما اهل خراسان والعراق والشام عليه من الخلاف المستمر والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في اموالهم بالخلف والمحاربة..."(٦٠).

اما القوة البيزنطية وهي القوة الثالثة التي كانت تحكم الشرق الادنى الاسلامي فكانت قد اجتازت تغيرات بالغة الاهمية قبيل الحروب الصليبية اثرت في تطور سير الاحداث في الشرق الادنى الاسلامي فبعد ان انتصر السلطان عضد الدين الب ارسلان(٤٦٤-٤٥٥هـ/١٠٦٣-١٠٧١م) على تلك القوات التي يقودها الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع في موقعة ملاذكرد عام٤٦٣هـ/١٠٧١م كانت بمثابة الكارثة العظمى والزلزال المدمر على الامبراطورية البيزنطية ولقد نجم عن انتصار السلاجقة ان استولى السلاجقة بقيادة سليمان بن قتلمش على معظم اراضي اسيا الصغرى واخذ الخطر السلجوقي يحدق بالعاصمة البيزنطية وبالتالي نرى انه عندما تولى امر الامبراطورية الكسيوس كومنين(٥١٢-٤٧٣هـ/١٠٨١-١١١٨م) لم يبقى لها من الاراضي في اسيا الصغرى سوى سواحل البحر الاسود وبعض المدن الداخلية المتناثرة التي فقدت صلتها الى حد كبير بالحكومة المركزية في القسطنطينية لذا جاءت الحروب الصليبية لتمثل مصلحة مشتركة بين البيزنطيين والغرب المسيحي فمنذ بداية الاعداد للدعوة للحروب الصليبية ضد

المسلمين اشتركت الدولة البيزنطية في المجمع الديني الذي عقد في شمال ايطاليا في مدينة بياكنزا عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥ ولم يكن هذا الاشتراك البيزنطي في ذلك المجمع الا لطلب معونة البابا للدولة البيزنطية ضد السلاجقة زعما من الامبراطور بان السلاجقة يهددون المسيحية جميعا ولا يتوقف تهديدهم على الدولة البيزنطنية وقد اقتنع البابا اوروبان الثاني بدعوى البيزنطينين وان الحاجة ماسة لاجراء ضد الحروب(٦١).

تلك كانت احوال القوى السياسية في الشرق الادنى الاسلامي قبيل قدوم الصليبيين فالصليبيون لم يواجهوا جيشا اسلاميا موحدا بل كانوا يواجهون قوى متفرقة.

المبحث الثاني : دور خيانات الفاطميين في سقوط بيت المقدس في يد الصلبيين

يعد سقوط انطاكيا بيد الصليبيين تحركت القوات الصليبية بقيادة ريموند في الرابع عشر من المحرم/ تشرين الثاني من عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م الى معرة النعمان(١١١) الذي قاوم اهلها مقاومة شديدة فقد ظلوا صامدين املين وصول النجدة من امير حلب رضوان ومن امير حمص جناح الدولة لكن الامور لم تجري بما تشتهي الانفس فقد وصلت حملة صليبية بقيادة بوهيموند لمعاونة ريموند في حصاره للمعرة واخيرا نجحوا في امتلاكها بعد ان قتلوا خلقاً كثيرا منهم(١١٢).

بعدها اتجه ريموند مع قواته الى كفرطاب(١١٣) حيث وصلها في ربيع الاول/كانون الثاني ٤٩٢هـ/١٠٩٩ وفي تلك المنطقة لحق بهم روبرت النورماندي وتنكرد. بدات اتصالات بينهم وبين امراء المسلمين بالشام الذين انتهزوا فرصة انحلال السلاجقة فيذكر سعيد عبد الفتاح عاشور ان الاسر المحلية بشمال الشام قد عمها الفرح لما حدث للسلاجقة واظهرت استعدادتها لعقد اتفاقيات مع الصليبيين *فنجد* امير حماة عمل على مساعدتهم وقد سلك بنى منفذ في شيزر وكذلك بنو عمار في طرابلس وصاحب صور نفس مسلك صاحب حماة فقد كان لحيادهم امرا مهما للصليبيين حتى يضمنوا سلامة زحفهم جنوبا صوب القدس(١١٤).

يتضح مما تقدم ان الخوف قد سيطر على اولئك الذين عقدوا اتفاقيات مع الصليبيين بعد سماعهم الانباء عن انتصاراتهم التي حققوها في شمال الشام وما ارتكبوه من مجاز في انطاكيا وما اشيع عنهم انهم ياكلون لحوم البشر وبالتالي استفاد الصليبيون من ذلك اذ لم يجدوا صعوبة في زحفهم الى بيت المقدس فضلا عن انقسام المسلمين والتنازع فيما بينهم لذا نرى ابن الاثير يقول في ذلك:"..انه عظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وايقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم التسامح له والمانع عنه فشرع اصحاب البلاد الاسلامية بالشام في الهدنة معهم فأمتنع الافرنج من الاجابة الاعلى قطيعة ياخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور

على سبعة الاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على اربعة الاف دينار وصالحهم على الكردي صاحب حماة على الفي دينار...."[١١٥].

استأنفت القوات الصليبية زحفها نحو بيت المقدس فمروا بمصياف(١١٦) في ربيع الاول/كانون الثاني ٤٩٢هـ/١٠٩٩ فخرج اميرها العربي وعقد معهم اتفاقية ثم اتجهوا الى بعرين[١١٧] ومنها الى سهل البقاع[١١٨] حيث فرح الصليبيون بما صادفوه من خيرات وفيرة[١١٩].

فاتجة سكان تلك المنطقة الى حض الاكراد الذي يقع وسط سهل البقاع للاحتماء به فاتجه اليهم الصليبيون وحاصروهم حتى سقط الحصن في ايديهم في ربيع الاول٤٩٢هـ/١٠٩٨م ثم اتجهت القوات نحو عرقة وهي مدينة صغيرة تتبع امارة طرابلس فاسرع صاحبها ابو فخر الملك بن عمار بارسال رسلة لعقد اتفاقية مع الصليبيين ممثلة بريموند فقد تعهد ابن عمار بدفع الاموال لضمان سلامة مدينته لكن بعض القادة الصليبيين اشاروا على ريموند بمهاجمة عرقة كنوع من الضغط على امير طرابلس لزيادة الجزية التي تعهد بدفعها للصليبيين[١٢٠].

وهكذا استمر الجيش بمحاصرة عرفة في حين اتجه فريق اخر منهم لحصار انطرسوس[١٢١] التابعة لولاية طرابلس فملكوها في ربيع الاول/كانون الثاني ٤٩٢هـ/١٠٩٩م.

ولايزال الصليبيون محاصرون لعرقة فقد استمر الحصار عليها لمدة اربعة اشهر وحاصرت قوة صليبية في نفس الوقت مدينة جبله[١٢٢] وهي ايضا تابعه لطرابلس لكن الحصار انتهى بعدها عقد اتفاق مع والي المدينة يدفع بمقتضاها الجزية للصليبيين عادت هذه القوة الصليبية بعد عقد الاتفاقات مع امراء المسلمين لمساعدة اخوانهم المحاصرين بعرفه لكنها قد استعصبت عليهم بسبب بأس اهلها لذا قرر الصليبيون تركها والتوجه الى بيت المقدس[١٢٣].

وهنا ادرك الفاطميون وسطعت شمس الحقيقة امام اعينهم بان بيت المقدس هو الهدف الاساسي للصليبيين وانهم لن يقفوا عند حد الاستيلاء على انطاكيا وغيرها من المراكز في شمال الشام انما اخذوا يتوغلون في جنوب الشام صوب فلسطين عندئذ ارسل الفاطميون الى الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين يسألونه عما اذا كانت تلك الحركة تعمل لحسابه قنصل الامبراطور وانكر معرفته او ارتباطه بها[١٢٤].

لذا قام الافضل بارسال سفارة الى الصليبيين وصلتهم قرب طرابلس تحمل الهدايا النفيسة والاموال الكثيرة لكل واحد من زعمائهم وقد عرضت السفارة مشروعاً على الصليبيين يتضمن عدول الصليبيين عن محاولة شق طريقهم الى الاراضي الفاطمية ويحتفظ الصليبيون بالاراضي التي امتلكوها بالفعل على ان يتركوا جنوب فلسطين وبيت المقدس للفاطميين وان يسمح للاخيرين بل وتقدم القوات الفاطمية كل سبل الامان لهم لزياره الاماكن المقدسة واداء طقوسهم الدينية بشرط

ان لايزيد عددهم في كل زيارة عن مائتي او ثلثمائة حاج وان لاتتعدى مدة اقامتهم عن شهر ولايدخلوها مسلحين(١٢٥).

رفض الصليبيون العرض الفاطمي اعتدادا منهم بقوتهم اذا اعتبره اهانة لهم وانهم عزموا على تحقيق الشعار الذي جمعوا بسببه هذه الجموع الهائلة وهو تحرير القبر المقدس وتخليصه من ايدي المسلمين بل وطلبوا من سفراء الدولة الفاطمية مغادرة المعسكر الصليبين بعدما ابلغوهم ان الجيش الصليبي سيتوجه الى القدس بكامل اسلحته(١٢٦).

يتضح مما تقدم ان الجيش الصليبي قد غير من سياسته بعد ان حقق الانتصارات في انطاكيا فهنا نرى كيف ان الصليبيين قد رفضوا عرض الدولة الفاطمية بسرعة بينما ماطلوا في العرض الاول الذي قدمته الدولة الفاطمية اليهم عندما كانوا محاصرين لانطاكيا اذ استمرت المفاوضات بين الطرفين لمدة عام تقريبا كان هدفهم تجنب اثارة عداء الفاطميين قبل الحصول على انطاكيا.

ان رفض الصليبيين للعرض الفاطمي معناة بداية الصدام المسلح بين الطرفين من اجل بيت المقدس. اذن كان على الافضل وهو رجل ماهر في ميادين السياسة والادارة ان يكون ايضا قديرا في ميدان الحرب وان يتخذ كافة الاستعدادات اللازمة ليحول دون تقدم الصليبيين الى بيت المقدس لكنه لم يفعل ذلك فبعد ان استعاد الفاطميون املاكهم الموجودة في بلاد الشام من ايدي السلاجقة لم يتركوا فيها قوات كافية لتدعيم نفوذهم والمحافظة على مكاسبهم في تلك الجهات وذلك باستثناء حامية بيت المقدس من ناحية وبعض المراكز الساحلية التي ظل الاسطول الفاطمي قادرا على امدادها بالرجال والزاد من ناحية اخرى(١٢٧) هذه من جهة ومن جهة اخرى فقد انشغل الافضل بالاحداث الداخلية التي كانت تعصف بالخلافة الفاطمية والمتمثلة باقصاء نزار بن الخليفة المستنصر بالله عن الحكم وتوليه اخيه الاصغر المستعلي بدلا عنه وقيام نزار وبمساندة اهل الاسكندرية بالثورة على الافضل والخليفة الجديد.

لكن الافضل استطاع قتل نزار واعوانه(١٢٨). ان هذة الاضطرابات التي واجهت الافضل لم تنتهي الا بعد ان دخل الصليبيون بيت المقدس(١٢٩).

يقول ابن تغري بردي في هذا الصدد:"...ولم ينهض الافضل باخراج عساكر مصر ويتعجب فيقول وما ادري ما كان السبب في عدم اخراجه مع قدرته على المال والرجال"(١٣٠).

واصلت القوات الصليبية زحفها نحو طرابلس فطلب اميرها الامان منهم بعدما دفع مبلغاً من المال وعدد من الجياد والدواب وامدهم بالأدلاء لارشادهم الى الحدود الفاطمية على نهر الكلب في رجب/مايس من عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ثم اتجهت القوات الى بيروت فبادر سكانها الى تقديم الهدايا والاموال للصليبيين وسمحوا لهم باجتياز اراضيهم بشرط الا ينزلوا بهم الضرر وقدموا لهم

الادلاء ايضا وصلت القوات الصليبية الى صيدا فهاجمتها رجال الحامية هنالك مما اضطرهم الى التحرك بسرعة فساروا الى عكا(١٣١) فاحتذى حاكمها حذو امير بيروت من قبل فقدم لهم الاموال والهدايا ثم ساروا الى حيفا(١٣٢) ملتزمين طريق الساحل حتى وصل الى قيسارية(١٣٣) وتابعوا مسيرهم الى الرملة(١٣٤) فوجدوا ان اهلها قد هجروها فدخلوها(١٣٥) وفي الرملة عقدوا مجلسا يناقشون فيه مشاكل هامة اهمها خطة الهجوم على بيت المقدس فقد راى بعض الزعماء تأجيل الزحف الى فصل الصيف وراى اخرون مهاجمة العدو الحقيقي في مصر وفريق ثالث راى ضرورة الزحف مباشرة على بيت المقدس والاستقرار والتحصن به ومنه يبدا التوسع نحو اراضي الدولة العربية الاسلامية(١٣٦).

وصلت القوات الصليبية الى اسوار بيت المقدس في شعبان/ حزيران من عام٤٩٢هـ/١٠٩٩م ووجدوا ان طول مدة الحصار ليس في صالحهم اذ كانوا يعانون من نقص في المؤن والماء الى جانب حرارة الجو لذا قرروا اقتحام اسوار المدينة والتوغل الى داخلها بعد حصار لها دام اربعين يوما فقد دخلوها في شهر رمضان/تموز من عام ٤٩٤هـ/١٠٩٩م.

احدثت تلك القوات الغارية مذبحة مروعة في المدينة فقد قتلوا في المسجد الاقصى على ما يزيد عن سبعين الفا منهم جماعة كثيرة من المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم وممن فارقوا الاوطان وجاءوا الى ذلك الموضع الشريف(١٣٧) يقول ابي العبري وهو مؤرخ غير مسلم:"...ولبث الفرنج في البلد اسبوعا يقتلون فيه المسلمين وقتلوا في المسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفا..."(١٣٨).

اما ابن تغري بردي فاشار الى ذلك قائلا:((...وهرب الناس الى الصخرة والاقصى واجتمعوا بها فهجموا عليهم وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء...))(١٣٩).

ان احتلال بيت المقدس من قبل الصليبيين لم يكن بالعمل السهل فقد واجهوا مقاومة شديدة من قبل والي الفاطميين على بيت المقدس افتخار الدولة والحاشية التي كانت معه فقد اشار المؤرخون الى قيام هذا الوالي بالدفاع عن مدينة بيت المقدس بالقوات التي كانت بين يديه من العرب والسودان فقد حرص على توفير المؤن الكافية لحاميته الموجودة والى سكان المدينة ما يكفيهم اذا طال امد الحصار كما قام بافساد مياة الابار والينابيع التى بخارج المدينة حتى لايستفاد الصليبيون منها كما عمل على اخفاء الابل والمواشي والمحاصيل وكافة المواد الغذائية في الكهوف والمغارات فضلا عن اهتمامه بتدعيم الابراج وتقوية التحصينات والتاكد من سلامة الاسوار كما قام باخراج كافة النصارى من المدينة المقدسة وانزلهم بظاهرها خوفا من الخيانة كما عمل على حفر خندق حول اسوار المدينة وفي نفس الوقت ارسل الى مصر يطلب النجدة العاجلة(١٤٠).

لكن ذلك لم يكن كافيا لدفع الخطر عن المدينة المقدسة فسقطت بايدي الغزاة بعدما قاوم واليها الفاطمي وسكانها اشد مقاومة اذهلت الصليبيون ان هذا الوالي وطائفة من جندة قد نجوا من وحشية الصليبيين بعدما احتموا بمحراب داود حيث بذل لهم الفرنج الامان وسمحوا لهم بالخروج الى عسقلان(١٤١).

استقرت الامارة الصليبية الناشئة في بيت المقدس واصبحت الخطة التالية امامها هي الاستيلاء على بقية مدن فلسطين خاصة الساحلية منها وذلك لكي يحصل الصليبيون على نوعا من الاتصال المباشر بوطنهم الام في غرب اوربا ولتامين احتياجاتهم من مؤن ومعدات تاتي اليهم من هنالك(١٤٢).

ان سقوط بيت المقدس في ايدي الصليبيين لم يعن استقرار الامور نهائيا لهم ورضاء الجبهة الاسلامية بهذا الامتهان فقد حملت الدولة الفاطمية راية الجهاد ضدهم خاصة وان الاملاك التي استولى عليها الصليبيون كانت املاكا فاطمية فقد اثبتت احداث التاريخ سوء تقديرهم للامور واحسوا ان الدائرة اصبحت عليهم بعد نجاح الصليبيون في هزيمة السلاجقة فقد وصلت الاخبار من الشام الى مصر بسقوط بيت المقدس لذا فالخلافة الفاطمية لا يمكن لها ان تقف مكتوفة الايدي امام هذه الاخبار(١٤٣).

فبعد ان تمكن الافضل من القضاء على نزار واعوانه واستتبت الامر له ولخليفته المستعلى بالله تفرع للقاء الصليبيين فقد اعد في رمضان/تموز من عام٤٩٢هـ/١٠٩٩م حملة عسكرية بقيادته للتوجه الى بيت المقدس(١٤٤) فضلا عن ذلك جهز اسطولا ضخما قد حمله بالالات الحربية اللازمة لحصار بيت المقدس وحملة ايضا بالمواد الغذائية وقد توجه بنفسه الى عسقلان(١٤٥) عندها سمع جودفزي بذلك ارسل الى تانكرد الذي كان بنابلس(١٤٦) وامرة بالتوجه الى السهل الساحلي للتعرف على اخبار هذه الحملة فستطاع الاخير وهو في الرحلة ان يلقي القبض على بعض الكشافين الفاطميين واستطاع ان يحصل منهم على معلومات عن هذه الحملة من حيث الاعداد والاسلحة والاستعدادت الفاطمية لكنه ايضا حصل على معلومة في غاية الخطورة الا وهي ان الافضل لاينوي مهاجمة بيت المقدس الا بعد وصول الاسطول الفاطمي لكي يمده بالمؤن اللازمة(١٤٧).

يشير أين الاثير الى ان الافضل عندما وصل الى عسقلان ارسل الى الصليبيين ينكر عليهم ما اقترفوة من اعمال وحشية ويتهددهم(١٤٨).

يتضح مما تقدم ان الافضل عندما وصل الى عسقلان لم يبدا بالهجوم لانه كان يراوغ الى ان تصل اليه الامدادات لكن هذا الرجل لم يكن رجلا قديرا في امور الحرب مثلما كان في امور

السياسة والادارة[١٤٩] فقد اضاع وقتا ثمينا في انتظار وصول الامدادات اليه مما اتاح للصليبين الاستعداد للقاءة وامتلاكهم زمام الامور[١٥٠].

حشد حودفرى بناءا على المعلومات التي زودها به تانكر جيشا كبيرا قاده بنفسه في شهر شوال/اب من عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م من بيت المقدس التي لم يبق فيها الا حامية صغيرة وعدد من النساء والمرضى وبعض القساوسة الذي كانوا يقيمون الصلوات ويطلبون النصر لقواتهم[١٥١].

احتشد الصليبيون في بيتا(١٥٢) وواصلوا زحفهم مباشرة الى سهل اسدود الذي يقع بين جوبية وعسقلان حيث بدوا ينظمون صفوفهم ثم قرروا الهجوم على الجيش الفاطمي الذي لم يكن يتوقع ان الجيش الصليبي على مقربه منه فلم تبدي القوات الفاطمية الا مقاومة ضعيفة جدا فقد كان لعنصر المباغته اثره في تشتت شملها وعبثا حاول الافضل ان يشد من ازر جنده ولكن فرسان الصليبيين استطاعوا ان يخترقوا صفوف الجيش الفاطمي واستطاع بعض قادتهم كتانكرد وروبرت النورمندي من الوصول الى قلب الجيش الفاطمي حيث وصلا الى الجانب الذي كان يقاتل فيه الافضل واستولوا على لوائه[١٥٣] فتشتت الجيش الفاطمي وهرب الافضل مع من بقي من جيشه الى عسقلان ومنها الى مصر وقد لجا بعض افراد الجيش الفاطمي الى شجر الجميز فاحرق الصليبيون بعض الشجر فهلك من احتمى به ثم واصلت القوات الصليبية بملاحقة من بقي من الجيش الفاطمي فوقعت بهم قتلا واسر من بقي منهم [١٥٤].

من الواضح ان النصر المعنوي والادبي الذي حققه الصليبيون في عسقلان فاق الكثير من الغنائم المادية التي غنموها ذلك ان انتصارهم في عسقلان قضى على هيبة الفاطميين في الشام فقنعوا في مصر يشاهدون مدن فلسطين وهي تتساقط واحد تلو الاخرى بيد الصليبيين ونتيجة للضغط الصليبي المتواصل على ارسوف فقدت ارسل اهلها سفارة عاجله الى الافضل يطبلون منه النجدة فارسل الاخير اليهم قوة قوامها ثلثمانة جندي لم تلبث ان وقعت هذه القوة في كمين نصبه الصليبيون لها في جمادي الاول/اذار من عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م مما جعل اهل ارسوف يؤمنون بعدم جدوى الحماية الفاطمية وانه لا مفر من الدخول في التبعية للصليبيين فقد تم الاتفاق بينهم وبين جودفرى على دفع الجزية وتسليمه مفاتيح المدينة وقد حذت كل من من عسقلان وقيسارية وعكا حذو ارسوف فعرضت على الصليبيين دفع الجزية والتي قد قدرت بنحو خمسة الاف بيزانت سنويا مقابل الهدنة[١٥٥].

على ان استكانة الفاطميين والجمود الذي انتابهم عقب سقوط بيت المقدس لم يستمر طويلا فقد قام الوزير الافضل بارسال ثلاث حملات كبيرة لملاقاة الصليبيين الاولى كانت في رجب/مايس عام ٤٩٤هـ /١١٠١م بقيادة سعد الدولة الطواشي احد مماليك الافضل[١٥٦] هدفت هذه الحملة

استرداد بيت المقدس مستغلة غياب ملك بيت المقدس بلدوين عندما علم بنبأ وصول تلك الحملة عاد مسرعاً بقواته واتجه الى الرملة لكن قائد الحملة الفاطمية سعد الطواشي عندما علم بنبأ وصول القوات الصليبية ارتد الى عسقلان املاً في وصول الامدادات له فقصى الجيش الفاطمي عدة اشهر في عسقلان دون أي عمل مجزي مما اعطى فرصة للصليبين للاستعداد ووضع الخطط العسكرية اللازمة لمواجهة الجيش او القوة الفاطمية[١٥٧] وصلت الامدادت الى سعد الطواشي من مصر علماً ان هذه الامدادات قد علم بها بلدوين الاول اذ وقعت رسالة بيده في ذي القعدة/اب من عام ٤٩٤هـ/١١٠١م علم فيها ان هنالك امدادات فاطمية جديدة جاءت الى سعد الطواشي وانهم مستعدون للمسير الى بيت المقدس[١٥٨].

بلغت عدد قوات الجيش الفاطمي احد عشر الفاً من الفرسان وواحد وعشرين الف راجل[١٥٩] اما القوات الصليبية فقد بلغ عددها الف فارس وعشرة الاف راجل[١٦٠] تحرك سعد الدولة بقواته ببطئ شديد حتى لاقى الصليبيون بين الرملة ويافا كان النصر حليف القوات الفاطمية فقد حصدت القوات الفاطمية القوات الصليبية وقتل قائدها بيرفولد كما دحرت القوات الفاطمية قوات الجليل التي جاءت لمعونة الصليبيين[١٦١] لكن الجيش الفاطمي قد ارتكب خطا ادى الى قلب موازين القوى وغدا منهزما بعد ان كان منتصرا فبعد ان اطمأنت القوات الفاطمية على النصر تحرك قلب الجيش الفاطمي عن موضعه بحثاً عن الغنائم فداهمتهم قوات بلدوين وبعد قتال قصير ولوا الادبار وامتد الذعر الى ميمنتهم ففروا هاربين فتابعتهم القوات الصليبية حتى اسوار عسقلان وبقي سعد الدولة في نفر من جنده فحمل الصليبيون عليه فكبا به فرسه فسقط على الارض ومات وتم النصر للصليبيين وقد قتل الصليبيون من المسلمين عددا كبيرا بعدها عاد بلدوين الى بيت المقدس وهو محمل بالغنائم والاسلاب[١٦٢].

لم يصبر الافضل على الهزيمة التي حلت بجيوشه على ايدي الصليبيين فامر باعداد حملة عسكرية كبيرة من العرب والسودان قد بلغ تعدادها بعشرين الف راجل تحت قيادة ولده شرف المعالي وكان ذلك في شعبان/مايس من عام ٤٩٥هـ/١٠٠٢م احتشد هذا الجيش في عسقلان ثم اتخذ طريقة الى الرملة وسارمعة الاسطول في البحر[١٦٣].

اما ملك بيت المقدس بلدوين فقد خرج في بيت المقدس ومعه خمسائة فارس[١٦٤] واتجه الى الرملة حيث فوجئوا بالجيش الفاطمي امامه في موضع يسمى بيازور قرب الرملة[١٦٥].

وبالتالي اصبح الرجوع متعذرا عليهم فباشر الصليبيون بالهجوم على الجيش الفاطمي لكن الاخيرين اطبقوا على الصليبيين فنهارت صفوف بلدوين ولجأ هو ومن بقي من جندة الى حض صغير بالرملة فحاصرهم الفاطميون ولم ينقذهم من الهجوم المباشر الا حلول الظلام وعند الصباح

هاجم الفاطميون اسوار مدينة الرملة وكدسوا الواحا من الخشب حول البرج الذي لجا اليه بلدوين فقاموا باشعال النيران فمن لم يمت حرقاً لم يسلم من الاسر(١٦٦).

وقد شار ابن الاثير إلى ان بلدوين قد القى بنفسه في الحشيش فلما ابتعد المسلمون عنه خرج منه واتجه الى يافا قائلا:" لما ارى بلدوين شدة الامر خاف القتل والاسر القى نفسه في الحشيش واختفى فيه فلما ابتعد المسلمون عنه خرج منه الى الرملة ونزل شرف المعالي على قصر بالرملة وبه سبعمائة من اعيان الفرنج وفيهم الملك بلدوين الذي استطاع الخروج متخفيا الى يافا..."(١٦٧)

اما ابن القلانسي فيذكر ان بلدوين اختفى في اجمة قصب وحين تبع احرقت هذه الاجمة ولحقت النار ببعض جسده ونجا منهاا... (١٦٨).

اما وليم الصوري فيشير الى ان هنالك رجل اعرابي كان بلدوين قد اظهر لزوجته المروة في اول غارة قام بها بعد تولية عرش مملكة بيت المقدس على بلاد ما وراء نهر الاردن قام بتحذيره بضرورة ترك الحصن لان الفاطميون سوف يبدون الهجوم على الحصن عند بزوخ الفجر فقد عمل ذلك الاعرابي من باب رد الجميل للملك فهرب بلدوين مع ثلاثة من اتباعه وسائسه وبعض القواد(١٦٩).

واصل الفاطميون مع قائدهم شرف المعالي القتال لمدة خمسة عشر يوما فيذكر ابن ميسر ان مجموع ما قتله الفاطميون من الصليبيين كان بحدود اربعمائة وارسل الى مصر بحدود ثلثمائة اسير وقيل تسعمائة(١٧٠).

اختلف اصحاب شرف المعالي فيما بينهم أي الطرق يتوجهون اليها لاتمام النصر على الصليبيين فرى البعض التوجه الى بيت المقدس مباشرة لامتلاكه وراى اخرون التوجه الى يافا لامتلاكها فبينما هم على هذا الاختلاف وصلت للصليبين امدادات ضخمة عن طريق البحر فقد وصل اسطول انكليزي مؤلف من مائتي سفينة تقل الالف من الحجاج الانكليز والفرنسيين والالمان رسى على ميناء يافا فاستطاع هذا الاسطول فك الحصار المفروض من قبل الفاطميين على مدينة يافا(١٧١) كما ان بلدوين ملك بيت المقدس استنجد بتانكرد وبلدوين دي بورج امير الرها يحثهما على ارسال نجدات برية فأجاباه الى ذلك فستطاعت تلك القوة البرية ان توقع بالفاطميين المحاصرين لمدينة يافا من ناحية البر الخسائر ففر الجيش الفاطمي الى عسقلان وعاد شرف المعالي الى مصر(١٧٢).

يتضح مما تقدم ان الفاطميين قد ضيعوا الفرصة لاسترداد بيت المقدس من الغزاة الصليبيين باختلافهم حول الطرق التي يتوجهون اليها لاتمام النصر على الصليبيين فلو كانت كتيبة فاطمية

واحدة من المرابطة في عسقلان ان تتوجة مباشرة عقب معركة الرملة لاستطاعت ان تسرد بيت المقدس.

يروي ابن الاثير ان الوزير الافضل عندما سمع بهزيمة ابنه شرف المعالي قام بارسال حملتين احداهما برية تالفت من اربعة الاف فارس تحت قيادة المملوك تاج العجم والاخرى بحرية برئاسة القاضي ابن قادوس(١٧٣) بهدف منازلة يافا فنزل تاج العجم على عسقلان يذكر سعيد عبد الفتاح عاشور ان الشيء الذي كان يفتقدة الفاطميين عندئذ لم يكن كثرة الرجال ولا العتاد انما كانوا يفتقدون الى روح التعاون والنظام واحكام الخطط العسكرية فقد رفض تاج العجم معاونة ابن قادوس مما ادى الى فشل التعاون بطريقة فعالة بين القوات البرية والاسطول رغم وصول الامدادات اليهما(١٧٤).

فعندما علم الافضل بما وصلت اليه الامور بين تاج العجم والقاضي أبن قادوس امر بالقبض على تاج العجم وارسل رجلاً لقب بجمال الملك فولاة عسقلان وجعله قائدا للعساكر الفاطمية البرية بالشام لكن الصليبين استطاعوا الانتصار عليه بعدما وصلت اليهم الامدادات من اخوانهم في وسط هذه الازمة طلب الافضل من صاحب دمشق شمس الملوك دقاق المساعدة لكن الاخير اعتذر عن ذلك ولم يحضر(١٧٥) بينما يرى ابن القلانسي الى قيامه بأرسال الامدادات لكن هنالك اسباب منعته من الحضور بنفسه قائلا:((...كتب الافضل في استدعاء المعونة على الجهاد ونصره العباد والبلاد بانفاذ العسكر الدمشقي فاجيب الى ذلك وعاقت عن مسيره اسباب حدثت وصوادف صدفت...))(١٧٦).

يتضح مما تقدم مدى الخلاف الذي كان بين حكام دمشق وحكام مصر بسبب الخلاف المذهبي.

ان هذه الاشباكات بين الفاطميين والصليبيين كشفت عن حقيقة امر الدولة الفاطمية ومدى انحلال اوضاعها الامر الذي حمل الصليبيون على ان يطمعوا في الاستيلاء على بقية الساحل الشامي وما به من موانئ فاطمية مثل عسقلان وعكا وصور وبيروت وكلها كانت تابعة للفاطميين فلو بقيت تلك الموانئ بايدهم لاستطاعوا طعن مملكة بيت المقدس عن طريق قطع الشريان الذي يربطها بالغرب الاوربي(١٧٧).

الخاتمة

اتضح مما تقدم ما يلي عدة نتائج :

١. ان تفكك الصف الاسلامي قد سهل على الصليبيين مهمة الوصول الى اهدافهم فقد سقطت كثير من المدن بأيدي الصليبيين نتيجة لهذا التمزق الذي اصاب الدول والامارت الاسلامية

فضلا عن انعدام وجود أي تعاون اسلامي بل على العكس وجدت بعض الامارات الاسلامية في الوجود الصليبي محافظة على املاكها واستقلاليتها.

٢. ان الفاطميين لم يبخلوا بجهد ومال في سبيل نصرة الاسلام واستعادة بيت المقدس من ايدي الصليبيين بل وطردهم من بلاد الشام نهائياً بعد ان ادركوا حقيقة هذه الحركة وبعدما ادركوا اطماع الصليبيين الحقيقة فتوالت الحملات التي خرجت من مصر الى الشام لمهاجمة الصليبيين والعمل على طردهم.

٣. ان الحملات التي قادها الفاطميون قد اتصفت بسوء النظام والاهمال وعدم تقدير المسؤولية لدى قواد هذه الحملات كما كان ينقصها ايضا عدم التتنسيق بين قيادات الجيوش البرية والبحرية.

٤. ارتكب الفاطميون اخطاء كبيرة تتمثل بعدم تركهم قوات كافية لتدعيم نفوذهم في المناطق التي تم استعادتها من السلاجقة بحيث يتسنى لهم المحافظة على تلك المكتسبات في تلك الجهات.

٥. ان الوجود الصليبي في بلاد الشام قد عجل في نهاية الدولة الفاطمية وسقوطها فقد ظهر التنافس واضحاً وجليا بين الصليبيين وقوات نور الدين محمود ومحاولة كل طرف السيطرة على مصر لما كانت تتمتع به من موقع وموارد اقتصادية الامر الذي ادى الى اسالة لعاب كل من الطرفين للسيطرة عليها خاصة وانها كانت تعاني من فوضى سياسة وازمات اقتصادية فقد وجد نور الدين والصليبيين ضالتهما عندما نشب النزاع بين الوزيرين شاور السعدي وضرغام العامري على منصب الوزارة وقد انتهى الامر باعلان صلاح الدين الايوبي زوال الدولة الفاطمية وموت اخر خلفاء الدولة الفاطمية وعودة مصر الى حظيرة الخلافة العباسية مرة اخرى عام ٥٦٧هـ/١١٧١م.

الهوامش والتعليقات

ساذكر هنا المعلومات كاملة عن المصدر والمرجع حين وروده اول مرة مما يغنينا من اعداد قائمة للمصادر والمراجع

١. على امتداد قرنين من الزمان زحفت على الدولة العربية الاسلامية ثمان حملات صليبية جهزها الغرب الاوربي اربع منها اتجهت الى بلاد الشام هي الحملة الصليبية الاولى(٤٩٠-٤٩٣هـ/١٠٩٦-١٠٩٩م) بقيادة جودفري دويوبون وبلدوين ويوهيمند وريمون وتانكرد والثانية(٥٤٤-٥٢٤هـ/١١٤٧-١١٤٩م) بقيادة ملك المانيا كونراد وملك فرنسا لويس السابع

والثالثة(٥٨٨-٥٨٥هـ-١١٨٩-١١٩٢م) بقيادة فريدريك باربروس امبراطور المانيا وملك انكلترا ريتشارد قلب الاسد وفليب اغسطس ملك فرنسا والسادسة(٦٢٦-٦٢٧هـ/١٢٢٨-١٢٢٩م) بقيادة فريدريك الثاني واثنان على مصر هي الخامسة(٦١٦-٦١٨هـ/١٢١٩-١٢٢١م) بقيادة ملك بيت القدس جاي دي بربان واندريا الثاني ملك المجر والسابعة(٦٤٦-٦٥٢هـ/١٢٤٨-١٢٥٤م) بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا والرابعة احتلت القسطنطينية(٦٠١-٥٩٩هـ/١٢٠٢-١٢٠٤م) بقيادة بلدوين التاسع كونت الفلاندر اما الحملة الثامنة(٦٦٩-٦٦٦هـ/١٢٦٧-١٢٧٠م) بقيادة لويس التاسع ضد تونس وعدد من الحملات الصغيرة فلم تحل سنة واحدة من سيل المسلحين المتمردين على الدولة العربية الاسلامية، للمزيد ينظر: العابد، صالح الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة؛ مجلة المورد، العدد٤-مج ١٦، بغداد- ١٩٨٧م، ص٥؛ عمارة، محمد، دراسات في الوعي بالتاريخ، دار الوحدة لا.ت، ص٦٢.

2. The new Encyclopedia Britannica, U.S.A 1951, Vol, 6, P,771.

٣. مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام، ط٤، مؤسسة الخانجي، القاهرة، لا.ت، ص١٦٣؛ الطيار، هيفاء عاصم محمد، دور العراق القومي في الدفاع عن بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠١م، ص٤٦.

٤. الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية (دراسة عن الحملة الاولى١٠٩٥-١٠٩٩م)، ط٢، ذات السلاسل، بيروت- ١٩٨٨م، ص٨٦.

٥. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت-١٩٨٦م، ص٢٧، الطيار، دور العراق، ص٤٦.

٦. حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١، القاهرة-١٩٦٧م، ج٤، ص٢٤٣؛ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، نقلة الى العربية عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، لا.ت، ص٣١٧.

٧. شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة، الاسلامية، ط٣، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة-١٩٧٧م، ج٥، ص٥٤٩؛العابد، الحروب الصليبية، ص٥.

٨. المرجع نفسه، ص١٣ هامش(٥)، قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت- ١٩٩٠م، ص٩، ١٢.

٩. الطيار، دور العراق، ص٥٨؛ لامب، هارولد، شعلة الاسلام، قصة الحروب الصليبية، ترجمة محمود عبدالله يعقوب، مراجعة جمال الدين الشيال، مطبعة الارشاد، بغداد- ١٩٦٧، ص٢.

١٠. ابو بدر، شاكر احمد، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية، الجامعة اللبنانية- ١٩٧٢، ص١٧.
١١. ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، لا.ت، ص٨١.
١٢. مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، مصر-١٩٥٨م، ص٣١؛ يوسف، جوزيف نسيم، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية- ١٩٨٩م، ص٣٠.
١٣. بروى، ادوار، القرون الوسطى في تاريخ حضارات العالم، ترجمة داغر واخرون، بيروت- ١٩٦٥م، ج٣، ص٣١٢.
١٤. رنيسمات، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت- ١٩٦٨م، ح١، ص١٦٣.
١٥. ابو محمد، عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان(ت:٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يفيد من حوادث الزمان، بيروت-١٣٩٠هـ، ح٣، ص١٥٨؛ جمال الدين ابو المحاسن الاتابكي(ت:٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة- ١٩٢٩، ١٩٧٢م، ح٥، ص١٤٩.
١٦. السامرائي، خليل واخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م، مطابع دار الكتاب والنشر، الموصل-١٩٨٨م، ص٢٦١.
١٧. سورة ال عمران: اية ٢٠.
١٨. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط١، القاهرة-١٩٦٣م، ج١ ص٢٩.
١٩. المرجع نفسه، ج١، ص٣٧.
٢٠. هـ-ي، سويتار، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، القاهرة- ١٩٥٧م، ص١٤-٤١.
٢١. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص١٧٠.
٢٢. المرجع نفسه، ج١، ص١٧٠-١٧١.
٢٣. عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٤-٣٥.
٢٤. الحميدة، سالم محمود، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-١٩٩٠م، ج١، ص٤٨.

٢٥. عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٥؛ العدوي، ابراهيم احمد، التاريخ الاسلامي افاقه السياسية وابعادة الحضارية، القاهرة لا.ت، ص٣٦٦.

٢٦. الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، شركة النبراس وفرانكلي، بغداد-١٩٦٧م، ص٣٤.

٢٧. الحميدة، الحروب الصليبية، ج١، ص٤٦؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص١٣٧؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٣.

٢٨. الحميدة، الحروب الصليبية، ج١، ص٤٦؛عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٢-٤٣.

٢٩. السامرائي واخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلامية، ص٢٥٨، عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٨.

٣٠. كوبلاند، ج.د، الاقطاع والعصور الوسطى في غرب اوربا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة -١٩٤٦م، ص٢٢.

٣١. عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٨-٤٠، عبدالله، راغب حامد، الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الاوربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب-١٩٨٣م، ص٣٨.

٣٢. مقبل، فهمي توفيق محمد، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، لا.م، لا.ت ص١٨-١٩.

٣٣. هو ابن عم السلطان ملكشاه السلجوقي كان اميرا شجاعا فتح عدة بلاد واخرها انطاكيا قتل في حربة مع تتش عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، للمزيد ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٤.

٣٤. هو ابو الفتح بن الب رسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب جلال الدولة توفي عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، أبن خلكان، ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت.لا.ت، ج٥، ص١٢٥؛ ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن عمر (ت:٧٧٤هـ/١٣٢٧م)، البداية والنهاية، تحقيق احمد ابو ملحم واخرون، بيروت-١٩٨٧م، ج١٢، ص١٥١-١٥٣.

٣٥. مقبل، شخصية الدولة الفاطمية، ص١٩.

٣٦. هو ابو المظفر ركن الدولة بن ملكشاة ولد عام ٤٧٤هـ/١٠٨٠م توفي عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م كانت مدة سلطنته اثنين عشر سنة، للمزيد ينظر. سبط ابن الجوزي، ابو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي(ت:٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الامان في تاريخ الاعيان، حيدر

اباد الدكن- ١٩٥١م، ج٨- ق١، ص١٣؛ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي(ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، بيروت-١٩٧٨م، ج٨، ص٢٢٣-٢٢٤؛ ابن خلكان، وفيات، ج١، ص١١٠.

٣٧. حول طبيعة الصراع بين اولاد ملشكاه الاربعة ينظر: ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر احمد طليمات، القاهرة- ١٩٦٣، ص١٢؛ الكامل، ج٨، ص١٦٤-١٦٥؛ امين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد-١٩٦٥م، ص١١٤-١١٨.

٣٨. ابو سعد تتش بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب تاج الدولة قتل على ايدي ابن اخيه بركياروق عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، للمزيد ينظر ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٧٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٥٩.

٣٩. للاطلاع على الصراع بين بركياروق وتتش ينظر ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة(ت:٥٥٠هـ/١١٥٥م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت- ١٩٠٨م، ص١٢٣-١٢٤، ١٢٦، ١٢٨-١٢٩؛ابن الاثير التاريخ الباهر، ص٩، الكامل، ج٨، ص١٦٦-١٦٧، ١٧١-١٧٥؛ ابن العديم، ابو القاسم كمال الدين عمر (ت:٦٦٠هـ/١٢٦١م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق- ١٩٦٨م، ج٢، ص١٠٧-١١٣، ١١٧-١١٩، ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت:٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في دولة بني ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر-١٩٥٣م، ج١، ص٢٢-٢٣.

٤٠. هو الامير رضوان بن تتش بن الب ارسلان الملقب فخر الملوك ولد عام ٤٤٥هـ/١٠٥٣ ملك حلب بعده مقتل ابية تتش عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م وصف بانه عبر محمود السيرة، توفي عام ٥٠٧هـ/١١١٣م للمزيد ينظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨- ق١، ص١١١، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص٢٠٥.

٤١. هو دقاق بن تتش بن الب ارسلان ابو المظفر لقب شمس الملوك تولى امر دمشق بعد مقتل ابية تتش عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م توفي، عام ٤٩٧هـ/١١٠٣م للمزيد ينظر سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج٨- ق١، ص١١١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ح٥، ص١٨٩.

٤٢. من اعظم مدن الاسلام بالروم، ياقوت الحموي، ياقوت عبدالله الحموي الرومي البغدادي(ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لا.ت، ج٤، ص٤١٥.

٤٣. هوقلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم لقي حتفه غرقا في الخابور عندما انهزمت عساكره امام جيوش جاولي سقاوة صاحب الموصل عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م فقد عثر على جثتة بعد ايام من غرقه ؛سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج٨-ق١، ص٢٢؛ ابن الاثير الكامل، ح٨، ص.٢٤١

٤٤. هو سنجر شاه بن السلطان ملكشاه السلطان ابو الحارث قيل ان اسمه احمد وسمي سنجر لانه ولد بسنجار في شهر رجب عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ونشا في منطقة الاهواز واستوطن مدينة الروم توفي عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م، ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٢٧-٤٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٢٦-٣٢٧.

٤٥. عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١١٤؛ الطيارة، دور العراق، ص٤٢.

٤٦. هو سكمان بن ارتق التركماني جد ملوك الاراتقة وصف بكونة حازما داهية ذا راي كثير الخير توفي عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م، بن الاثير الكامل، ج٨، ص٢٢٧.

٤٧. هو حسين بن ملاعب صاحب حمص وصف بكونه رجلا شجاعا باشر الحروب بنفسه قتل على يد الفداوين عام ٤٩٥هـ/١١٠١م، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨- ق١، ص٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٦٨٠-١٦٩٠.

٤٨. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٤؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٢٤.

٤٩. ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٤-١٣٥.

٥٠. هو ابن الحسن بن عبدالله الصقلي الكاتب مولى المعز لدين الله ولد عام ٣١٢هـ وتوفي عام ٣٨١هـ للمزيد، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٧٥-٣٨٠، حسن، علي ابراهيم، تاريخ جوهر الصقلي(قائد المعز لدين الله الفاطمي)، القاهرة-١٩٦٣م، ص٩-١٧.

٥١. للمزيد عن فتح الفاطميين لبلاد الشام ينظر: سرور، محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين، القاهرة-١٩٥٩م، ص١٦-١٧

٥٢. سالم، سيد عبد العزيز، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي، بيروت-١٩٧٠م، ص٨٢؛عمران، محمود سعيد، الحملة الصليبية الخامسة (حملة جان دي برت على مصر ٦١٥-٦١٨هـ/١٢١٨-١٢٢١م)، الاسكندرية-١٩٧٨م، ص٢٤.

٥٣. هو ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ثامن الخلفاء الفاطميين ولد عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م تولى الخلافة عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، توفي ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، للمزيد ينظر:المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت:٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق حلمي محمد احمد، مصر-١٩٧١م، ج٢، ص١٨٤-٣٣٤.

٥٤. هو ابو القاسم احمد بن المستنصر بن الظاهر الملقب بالمستعلي ولد عام ٤٦٩هـ/١٥٧٦م بويع بالخلافة عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م توفي ٤٩٥هـ/١٠٠١م، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص١٨٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢ ص١٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٠.

٥٥. هو ابو القاسم شاهنشاه الملك الافضل بن امير الجيوش بدر الجمالي تولى الوزارة للخليفة المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ومن بعدة لابنه المستعلي بالله قتل عام ٥١٥/١١٢١م، ابن الصيرفي، ابو القاسم علي بن منجب (ت:٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الاشارة لمن نال الوزارة، تحقيق عبدالله مخلص، بغداد- لا.ت، ص٥٧-٥٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٤٨-٤٥٢.

٥٦. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، هامش ص١٢٨-١٢٩، ابن حماد، ابو عبدالله محمد بن علي الصنهاجي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول محمد البدوي، الجزائر، لا.ت، ص٢٧؛ ابن الاثير الكامل، ج٨، ص١٧٣؛ ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت:٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، اخبار، مصر، باعتناء هنري مارسية، القاهرة، ١٩١٩م، ، ج٢، ص٣٦-٣٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٥.

٥٧. للاطلاع على محضر القدح في نسب الفاطميين الذي كتب في عهد الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م) ينظر، ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دار صادر، بيروت لا.ت وج٧، ص٢٥٥-٢٥٦، ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص١٢٥، ج٧، ص٢٦٧، المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المسماة بالخطط المقريزية، القاهرة لا.ت، ج١، ص٣٤٩ اما المحضر الثاني والمتضمن القدح في نسب الفاطميين والذي كتب في عهد الخليفة العباسي القائم بالله (٤٦٧-٤٢٢هـ/١٠٣١-١٠٧٥م)، ينظر، ابن الجوزي المنتظم، ج٨، ص١٥٤-١٥٥، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٢٣؛ الخطط، ج١، ص٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٥٣.

٥٨. هوابو الحارث ارسلان بن عبدالله قائد جند الاتراك في بغداد كان من مماليك بهاء الدولة البويهي في مدينة بسا من بلاد فاس تدرج في مناصب الدولة فحظى بمكانتة رفيعة عند الخليفة القائم بامرالله العباسي حتى غدا الخليفة لايقطع امر الا بمشورته بعدها تمرد على الخليفة ودعى الى الفاطميين للمزيد ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، بغداد، لا.ط، ج١، ص١٤٩-١٥٠؛ ابن خلكان، وفيات، ج١، ص١٩٢.

٥٩. مؤيد الدين الشيرازي، هبة الله(ت:٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة تحقيق، محمد كامل حسين، مصر-١٩٤٩م، ص١٨٢؛ ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن الحسن الشهير بذي النسبين (ت:٦٣٣هـ/١٢٣٥م)؛ النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد- ١٩٤٦م، ص١١٩.

٦٠. ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٤-١٣٥.

٦١. مقبل، شخصية الدولة الفاطمية، ص٢١.

٦٢. من المناطق التي تقع قرب دابق من الشمال للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٣٣.

٦٣. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٨.

٦٤. من المدن التي تقع بين المعرة وحلب للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٠.

٦٥. الحركة الصليبية، ج١، ص١٧٩.

٦٦. الكامل، ج١٠، ص٤٨٢.

٦٧. حصن مشهور للاسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٤.

٦٨. بليدة بين حمص والساحل، المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٢.

٦٩. ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، المصدر نفسه، ج١، ص٤٧٠.

70. stevenson, op.cit, p.31.

٧١. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٨؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٨٠.

٧٢. هي بلد من سواحل الشام وهي اخر اعمال دمشق من البلاد الساحلية واول عمل حمص، للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ٣٥٩.

٧٣. قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب تقع قرب اللاذقية للمزيد ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥٣.

٧٤. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٨؛ Archer, op.cit, p,81, chalandon, ؛
(F):histoire de la premiere croisade, paris,1925, p256; William of tyre;op.cit, Vol,1,p329.

٧٥. مقبل، شخصية، ص٤١؛ William of tyre;Op.cit, Vol,1,P,326

76. William of tyre;op.cit, Vol,1,P,326.

٧٧. عبد المعطي، السياسة الشرقية، ص١٥٧؛ William of tyre:op.cit, Vol,1,P,326

٧٨. عاشور، بحوث ودراسات، ص١٧٤؛العريني، الشرق الاوسط، ج١، ص٢٦٦.

٧٩. عن ثورة نزار وكيفية تمكن الافضل من الانتصار عليه ينظر:ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢١١، ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢، ص٦٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٥؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٣؛ الامين، حسن، الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، بيروت-١٩٩٧م، ص٨٦.

٨٠. الدواداري، ابو بكر بن عبدالله بن ايبك(ت:٧٣٢هـ/١٣٣١م) كنز، الدرر وجامع الغرر، ج٦، (المسمى الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة-١٩٦١م، ص٤٤٤، ٤٤٧.

٨١. النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٧.

٨٢. مدينة على ساحل بحر الشام من عمل الاردن، للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٣.

٨٣. حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣٢.

٨٤. بلد على ساحل بحر الشام يعد من اعمال فلسطين، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٢١.

٨٥. مدينة عظيمة في فلسطين وكانت رباطاً للمسلمين، المصدر نفسه، ج٣، ص٦٩.

86.Fulcher:op,cit, P,62; William of tyer; op.cit, Vol, 1,p. 329-332.

٨٧. حبشي، الحرب الصليبية، ص٧٩-٨٠ ؛عاشور، بحوث ودراسات، ص١٧٥.

٨٨. ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٩.

٨٩. ابو الفرج غريغوريوس الملطي(ت:٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطوان صالحاني اليسوعي، بيروت- ١٩٥٨، ص١٩٧.

٩٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٩. يشير المؤرخون ان الصليبيين اخذوا من قبة الصخرة نيفاً واربعين قنديلا من الفضة وغنموا منه ما لا يقع عليه احصاء، ابن الاثير الكامل، ج١٠، ص٢٨٤؛ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي(ت:٧٣٢هـ/١٣٣١م)،

المختصر في اخبار البشر، القاهرة-١٢٨٦ه، ج٣، ص٢١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٩.

91. Fulcher, Gesta,P,88.

٩٢. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٣.

٩٣. الحريري، سيد علي، الاخبار السنية في الحروب الصليبية، القاهرة. ١٣٢٩هـ، ص٤١.

٩٤. حبشي، الحرب الصليبية، ص٨٦، سرور، سياسة الفاطميين الخارجية القاهرة-١٩٦٦م، ص١٥٨.

٩٥. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٦.

٩٦. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧.

٩٧. مدينة مشهورة بارض فلسطين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٨.

98. Williamof tyre:op.cit, vol,1,P,349-350.

٩٩. الكامل، ج١٠، ص٢٨٦.

١٠٠. عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٠٢.

١٠١. سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج٨-ق١، ص٥٢١.

١٠٢. توفيق، عمر كمال، مملكة بيت المقدس، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٦٣.

١٠٣. يبتا اويبتي، بلدة قرب، الرملة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٨.

١٠٤. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٣؛ العريني، الشرق الاوسط، ج١، ص٣٧٠-٣٧٦.

١٠٥. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧؛ ابن الاثير الكامل، ج١٠، ص٢٨٦.

١٠٦. عاشور الحركة الصليبية، ج١، ص٢٠٧

Richard(J),the latin kngdom of Jerusalem, tran,byJanet shirley, holand-1971.P,21.

١٠٧. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٥٢.

١٠٨. william of Tyre:op.cit, Vol,1,P.439.

١٠٩. عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٣٣.

110. Runciman(s),Ahistory of the crusades,combridge-1954,p.71

١١١. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٠.

112. William of Tyre:op.cit, vol,1,P,439-440.

١١٣. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٤؛ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢، ص٦٨؛

stevenson,op-cit,p.45, William of tyre:op.cit, vol,1, P.440

١١٤. ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢، ص٧٤.

115. Stevenson:op.cit,P.45.

١١٦. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٤.

117. William of Tyre:op.cit, Vol,1,p.444.

١١٨. الكامل، ج١٠، ص٣٦٤.

١١٩. ذيل تاريخ دمشق، ص١٤١.

120. William of Tyre:op-cit, Vol,1,P,445.

١٢١. اخبار مصر، ج٢، ص٧٤.

122. stevenson, op-cit, p.46.

١٢٣. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٥؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٣٥.

١٢٤. الكامل، ج١٠، ص٣٦٦.

١٢٥. دراسات وبحوث، ص١٨٠.

١٢٦. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٥.

١٢٧. ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٢.

١٢٨. عاشور، دراسات، ص١٨٠.

١٢٩. توفيق، مملكة بيت المقدس، ص٨٧.

١٣٠. ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢، ص٧٥.

١٣١. المصدر نفسه، ج٢، ص٧٥؛ عاشور، دراسات، ص١٨٢.

١٣٢. بصري من اعمال دمشق وهي قصبة وكورة حوران مشهورة عند العرب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٦٥٤.

١٣٣. ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٨-١٤٩.

134. Stevenson:op-cit,p,43.

١٣٥. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٩٥.

١٣٦. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٩؛ ابن الاثير، الكامل، ح١٠، ص٣٧٥؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢، ص٧٥؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٢٠.

١٣٧. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٥١؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٥؛عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٤٠.

١٣٨. عاشور، دراسات، ص١٨٤.

١٣٩. المرجع نفسه، ص١٨٤.

١٤٠. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٢.

١٤١. المصدر نفسه، ص١٦٢.

١٤٢. عاشور، دراسات، ص١٨٤.

١٤٣. ابن الاثير، ج١٠، ص٤٧٩-٤٨٠.

١٤٤. مدينة في سواحل بحر الشام تعد من اعمال حمص، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٥.

١٤٥. سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام، مجلة كلية الاداب- جامعة الاسكندرية، العدد١٦ لعام ١٩٦٢م، ص٥٢-٥٣.

١٤٦. العبادي، احمد مختار وعبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، بيروت، ١٩٧٢م، ص١١.

١٤٧. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٤٤؛ ابن الوردي، زين الدين عمر(ت:٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تتمة المختصر في اخبار البشر، تحقيق احمد رفعت البدراوي، بيروت- ١٩٧٠م، ج٢، ص٢٤٠.

١٤٨. سالم، طرابلس الشام، ص٥٣.

١٤٩. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، ح٢، ص٢٥.

١٥٠. النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٧٩ ويذكر ان ابن عمار هادن الصنجيلي على ان يكون للاخير ظاهر البلد ولايقطع عنهم الميره وان يكون داخل البلد لابن عمار ثم مات صنجيل اثناء ذلك المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٩.

151. Michoud,Tom,1,p.304.

١٥٢. هي بليدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين امد وجزيرة ابن عمر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ٢٦٥.

١٥٣. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٤١٢.

١٥٤. ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٠.

١٥٥. ابن ميسر اخبار مصر، ج٢، ص٧٨.

١٥٦. العبادي وسالم، تاريخ البحرية الاسلامية، ص١١٣.

١٥٧. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٥؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، ج٢، ص٣٣-٣٤.

١٥٨. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥ ص١٨٠.
١٥٩. زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص١٢٩.
١٦٠. النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٧٩-١٨٠.
١٦١. قلعة حصينة وكورة واسعة في شمال حلب اهلها نصارى ارمن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٠.
١٦٢. ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٨، ابن يحيى، صالح(عاش اواسط القرن ٩هـ)، تاريخ بيروت، تحقيق الاب لويس سيخو، بيروت-١٩٢٧، ص٢٨-٢٩؛العبادي وسالم، تاريخ الحرية الاسلامية، ص١١٥.
١٦٣. الدواداري، كنز الدرر، ج٦ ص٤٧٤؛ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٨-٢٩.
١٦٤. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٨.
١٦٥. ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٩-٤٨٠.
١٦٦. المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٧٩-٤٨١، اليافعي، مرآة الجنان، ح٣، ص١٧١.
١٦٧. هو الديوان المسؤول عن اموال كل من يموت وليس له وارث خاص به بقرابة او نكاح او ولاء او الباقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لم يستغرق جمع المال ولا عاصب له، القلقشندي، احمد بن علي(ت:٨٢١هـ، ١٤٧) صبح الاعشى في صناعة الانشا، مصر-لا.ت، ج٣، ص٥٣٢، المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص١١١.
١٦٨. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٨١؛ الدواداري، كنز الدرر، ج٦، ص٥٧٦.
١٦٩. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٤٨٨.
١٧٠. المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٨٨.
١٧١. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٤٨٩.
١٧٢. المصدر نفسه، ج١٠ ص٤٦٧.
١٧٣. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٨.
١٧٤. المصدر نفسه، ص١٨٨.
١٧٥. المصدر نفسه، ص١٨٩.
١٧٦. المصدر نفسه، ص١٨٨.
١٧٧. Richard, op,cit, p,23.